٧

الاسبوع الأخير لخدمة يسوع

تأليف: ب. س. دين

١. سكب الطيب على المسيح في بيت عنيا (متى ٢٦:٦–١٣؛ مرقس ١٤:١–١١؛ يوحنا ١٢:١–٨).– كان يسوع قد وصل إلى بيت عنيا ليلة الجمعة. لا بد انه كان مركز انتباه للحشود الذين كانوا يتوافدون بمناسبة عيد الفصح. عندما كانوا يذهبون للسكن مع الأصدقاء أو في فنادق المدينة، أو في الخيام على سفح جبل الزيتون وفي وادي القطرون، ولكنه بحث عن بيت عنيا المعروفة جداً. كان يرحب به كالضيف دائماً والآن يرحبون به ثلاثة أضعاف.كان السبت يوم راحة، ولكن في تلك الليلة تم أعداد العشاء له في بيت سمعان الأبرص. مريم ومارثا ولعازر كانوا جميعاً حاضرون، يتهللون فرحا بالحياة التي أعيدت إلى لعازر، ويتمتعون بشركة بعضهم البعض و في حضور ذلك الذي هم مدانين إليه كثيراً. ولكن هناك أمرأة واحدة لا يمكنها التعبير عن شكرها بالطرق العادية. كانت تتفرس في وجه الرب وتصغي إلى كلماته المباركة حتى أنها لم تحتمل أكثر، فقامت وأتت بقارورة طيب غالي الثمن وسكبته أولاً على رأسه ومن ثم على قدميه وهو متكيء. كانت هناك نفوس سيئة عارضت « هذا التبذير »؛ ولكن كما أعتبره يسوع، المحبة التي أدت إلى هذا كانت غالية جداً. « اتركوها! لماذا تزعجونها؟ قد عملت بي عملاً حسناً... عملت ما عندها، قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين » (مرقس ١٤:٦–٨).

٢. يوم الأحد: دخول أورشليم (متى ٢١:١٧).– كانت أورشليم مزدحمة خلال اسبوع عيد الفصح بالغرباء الذين قدموا من جميع أنحاء فلسطين والأمبراطورية، وقد أستمع معظمهم إلى يسوع، و كانوا قد سمعوا عنه أيضا كان تأثير خدمته في البرية وإحياء لعازر هو شهرته من ناحية واحدة، ولكن نيران البغض من ناحية أخرى. قد اقتربت النهاية، لهذا لم يتجنب يسوع التضارب المحتوم، ولكن سمح بموكب المسيح العام. و أعلن طبيعة ملكه باختيار الجحش، وهذا رمز السلام، عوضاً عن الحصان شعار الحرب. عندما وصل قمة جبل الزيتون، أستقبلت المدينة كلها الجموع الذين جاءوا معه من بيت عنيا، وكانوا يهتفون قائلين أوشعنا ويسيرون مسيرة النصر، الذي قاده في أورشليم. كانت المدينة كلها ثائرة، مع أن ذلك كان بأحاسيس متضاربة. ولكنها كانت مسيرة اقليمية بصفة خاصة أورشليم الذي بكى عليها كما يبدو من على جبل الزيتون. وقفت صامتة أو عرضت جهراً. لا يمكن لأحد إلا أن يسأل: ماذا لو كانت هي أيضاً قد قبلت ربها؟ لا يمكننا الإجابة. نحن نعرف فقط ان الرفض كان الأخير. لقد خابت آمال التلاميذ المتحمسين، لم يواصل يسوع مسيرة المسيح كما كانوا يتمنون، بل ببساطة راقب كل شيء في الهيكل، ورجع ليقضي الليلة في بيت عنيا.

٣. يوم الاثنين: شجرة التين غير المثمرة؛ التطهير الثاني للهيكل (متى ٢١:١٢ و ١٣ ، ١٨ و ١٩؛ مرقس ١١:١٢–١٨).– عندما كان في طريقه إلى المدينة في الصباح التالي، صنع يسوع معجزة وهي تمثل معجزة ومثال في الوقت نفسه. شجرة التين غير المثمرة، بأوراقها غير العادية، كانت تظهر وكأن بها ثمار فريدة في وقتها. يبست بكلمة من يسوع: هذه تمثل المدينة والأمة المتنكرة، أو الحياة الكاذبة المعدة للهلاك. استمر يسوع في طريقه ودخل الهيكل. ونتيجة لما كان قد راقبه يوم الأحد،

طهره مرة أخرى كما كان قد فعل في أول عيد الفصح من خدمته التبشيرية. كان ذلك حدثا مثيرا قد حافظ عليه يوحنا (يوحنا ١٢:٢٠-٣٣) بما يختص ببعض ممثلي اليونان الموهوبين الذين أتى بهم فيلبس وأندراوس إلى يسوع. انه سبق ورأى الوقت الذي فيه سيرفع على الصليب و يجذب إليه الناس من جميع الجنسيات. أرتدت نفسه من التضحية، ولكن «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت، فهي تبقى وحدها» (يوحنا ١٢:٢٤). لهذا حتى النهاية انتهز يسوع كل فرصة ليعلن طبيعة ملكوته. إن كان قد شاء لكان قد أقام في يوم واحد ثورة سياسية وأمبراطورية دنيوية، ولكن الإجابة على ذلك تمت قبل وقت طويل. لا بد أن يأتي إكليل الإنسان وإكليله أيضاً عن طريق الصليب.

٤. يوم الثلاثاء: يوم الأسئلة (متى ٢١:٢٣-٢٥:٤٦).- نأتي الآن إلى اليوم الأخير من الخدمة العامة ليسوع. يبدأ في الهيكل بسلسلة من الأسئلة المصممة لتقليل شأنه بين الناس: (١) لجنة السنهدريم تتسائل عن سلطانه. (٢) الفريسيون يسألون عن دفع الجزية. (٣) الصدوقيون يسألون عن القيامة. (٤) الفريسيون يسألون مرة أخرى عن الوصية العظمى. (٥) يسوع نفسه عن المسيح. ضم يسوع في إجابته المنقطعة النظير ثلاثة من ثالث أكبر مجموعة للأمثال: الابنان وارادة الآب والكرامين القتلة وعرس ابن الملك. ثم التفت إلى أعداءه وصب عليهم سبع ويلات: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون» (متى ٢٣:١٣-١٥ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩). كان هذا مستحق، ولكن لا بد أن يسوع كان يدرك أيضاً بانه مميت. منذ الآن وصاعداً، لا يتوقع منهم أي رحمة. آخر حدث خرج فيه يسوع من الهيكل إلى الأبد، كان مدحه للأرملة التي ألقت بفلسين. هذا الحدث الرائع، تابعه الرفض العظيم.

وعندما خرج مع الاثني عشر، جلس على جبل الزيتون، مواجهاً لهيكل المدينة. وهناك عند الاستجابة إلى تعليق التلاميذ عن ضخامة حجارة الهيكل والسؤال عن مجيئه الثاني، تحدث عن خراب أورشليم ومجيئه الثاني. كان الدرس من كل هذا هو: «اسهروا، كونوا مستعدين، استثمروا أوقاتكم». أكد على هذا باعطاء مثل العشر عذارى ومثل الوزنات. ثم تابع ذلك التصور المهيب لمشهد الدينونة المسجلة في إنجيل متى الأصحاح ٢٥.

هكذا أنهى آخر وأعظم يوم في الخدمة العامة ليسوع، اليوم الأكثر كمالاً وتنوعاً في كل من الحدث والتعليم. وبعد أن سار لبضع دقائق مع تلاميذه استراح يسوع مرة أخرى في هدوء ضواحي بيت عنيا.

ولكن لم ينهي أعداءه اليوم هكذا، بل اجتمعوا سراً وقرروا أنه لا بد أن يموت أولا، وثانياً أن قتله لا ينبغي أن يكون خلال العيد، وبجبن كما كانوا أيضاً ريائيين، خافوا أن يلقوا عليه الايادي في حضور جموع الموالين له.

والآن سنواجه واحدا من ألغاز التاريخ. في اللحظة الأخيرة والحاسمة، جاء يهوذا وهو تلميذاً من الاثني عشر الذي يعرف مأواه ومخبأه الذي قدم نفسه ليخون سيده - من أجل المال. تشير القصة بوضوح إلى البخل كدافع لذلك (متى ٢٦:١٤ و ١٥؛ مرقس ١٤:١٠ و ١١؛ لوقا ٢٢:٣-٥؛ أنظر أيضاً يوحنا ١٢:٤-٦). ذلك الذي كان يشكو من المحبة باع سيده بثلاثين قطعة من الفضة، ثلث ثمن الطيب الذي سكبته مريم على يسوع.

٥. يوم الأربعاء: الهدوء يسبق العاصفة.- لا يبدو بان هناك سجل لأحداث يوم الأربعاء، تُركنا لنتخيل المشهد فقط - المدينة كلها تتَرقب، ومنذهلة لماذا لم يرجع يسوع إلى الهيكل، الشعب مشتاق ليستمع إليه، والسلطات تطالب بألحاح سفك دمه. ولكنه كان قد أكمل عمله. ربما تحدث إلى التلاميذ على انفراد في بيت عنيا، ولكن من المحتمل انه قضى ذلك اليوم في راحة وصلاة استعداد للمشهد الأخير. نحن لا نعلم ماذا حدث في ذلك اليوم. «في تلك الليلة رقد لينام لآخر مرة على الأرض. واستيقظ صباح الخميس لكي لا ينام فيما بعد.»

٦. يوم الخميس: العشاء الأخير (متى

١٧:٢٦-٣٥؛ يوحنا ١٣:١-١٧).- في وقت ما من يوم الخميس، أرسل يسوع اثنين من تلاميذ إلى المدينة ليعدان طعام الفصح. في تلك الليلة أتكأ مرة أخرى مع الاثني عشر، لأن يهوذا الإسخريوطي مازال معهم - في الظاهر تلميذاً، ولكن في الحقيقة خائن وجاسوس. حلت سحابة على المجموعة الصغيرة وهم جالسين وكانوا يتجادلون عن مكان الصدارة. بتلك الطريقة الرائعة المستحقة والصعب تقليدها، وبخ يسوع طموحاتهم. فقام من المائدة وتقدم كعبد عادي ليغسل أرجلهم. ثم نظر إلى التلاميذ المرتبكين، ولقنهم درساً في التواضع والخدمة. مازال الجو قاتماً عندما استمر يسوع ليقول: «إن واحداً منكم يسلمني» (متى ٢١:٢٦؛ مرقس ١٨:١٤؛ لوقا ٢١:٢٢؛ يوحنا ٢١:١٣. قام يهوذا سريعاً بخدمة ودية كما يجب عليه أن يفعل كتلميذ. فكشف يسوع عن أن الجميع سيتركونه، وعن نكران بطرس الواثق بنفسه. ثم تبددت السحابة، وقام يسوع بتأسيس العشاء التذكاري الرائع ويبدأ الحديث المنقطع النظير المسجل في إنجيل يوحنا الأصحاحات ١٤ - ١٦. وأنهى الحديث مع الصلاة الربانية الحقيقية (يوحنا ١٧)، الصلاة التي تضم في دائرتها الواسعة تلاميذه المباشرين، وكل الذين سيؤمنون به بواسطة كلماتهم في العالم. قد انتهى اليوم حتى حان منتصف الليل. وعند الخروج من الغرفة إلى ضوء القمر، ترك يسوع المدينة وراءه وسار مع تلاميذه تجاه بيت عنيا.

٧. جثسيماني (متى ٣٦:٢٦-٤٦).- في الطرف الشرقي من وادي قدرون، تحت جبل الزيتون، يوجد هناك بستان يسمي جثسيماني (معصرة الزيت). انه مكان يتردد إليه يسوع، وعندما دخل في ظلال أشجار الزيتون ترك الجميع عدا الثلاثة المختارين، فتقدم قليلاً إلى البستان ليصلي. وعندما ترك الثلاثة قريباً توغل أيضاً في الظلال وخر على وجهه في حزن وكئابة شديدة، «وابتدأ يدهش ويكتئب» (مرقس ٣٣:١٤؛ أنظر أيضاً متى ٣٧:٢٦)، وقال لهم «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (متى ٣٨:٢٦)، «وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» (لوقا ٤٤:٢٢). خرج من شفتيه صراخ الخضوع ثلاث مرات: «يا أبتاه، إن أمكن، فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (متى ٣٩:٢٦ ، ٤٢ ، ٤٤؛ أنظر أيضاً مرقس ٣٦:١٤ ، ٣٩ ، ٤١؛ لوقا ٤٢:٢٢-٤٦). رجع ثلاث مرات للتلاميذ الثلاثة ليجدهم نياماً. ماذا يعني كل هذا؟ هل كان الموت الجسدي الذي جعل العرق ينزل كقطرات دم من وجهه، وصراخ الكئابة من شفتيه؟ إذن، انه كان أقل بطولة من الجندي الشجاع، وأقل بسالة من معظم المجرمين المتوحشين. الرجولة المتألقة التي تابعناها منذ وقت طويل، هل تضاءلت إلى هذا الحد المؤلم؟ أليس لكل هذا معنى أسمى؟ ألم يكن أعظم حزن الذي كان يسحقه على الأرض - عبء خطايا العالم وأحزانه؟ هذا مشهد ديني بصفة خاصة غير قابل للتخمين الضعيف. نعلم فقط بانه خرج من هذا كما خرج من كل الهجمات السابقة منتصرا من أجل هدفه: «سُمِعَ له من أجل تقواه» (عبرانيين ٧:٥)؛ «ظهَر له ملاك من السماء يقويه» (لوقا ٤٣:٢٢).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧